

# سليم بركات: البحث عن وطن

وليد هرمز\*



سليم بركات (القدس العربي)

■ بعد رحلة مضمّنية من الشقاء والتشرد في المنفى استمرت ثلاثين عاما حل المقام بالكاتب سليم بركات بأرض الصقيع في الشمال الاسكندنافي، السويد، حيث وصل عاصمتها استوكهولم منذ عامين كضيف، بدعوة من نادي القلم السويدي.

منح منحة تفرغ لمدة عام كامل كمتفرغ لشؤونه الادبية. جاء بركات قادما من جزيرة الداف والجدال، قبرص، التي تلتحف جزءا من مياه البحر المتوسط، تاركا وراءه نعمة الروح ودفاء الصلصال، الى اين؟ حيث لا مفر بعد ان ضاق به المقام، وضافت به سلطات الجزيرة، حيث لا اوراق ثبوتية تؤكد لهم حق الاستمرار في اقامته، ولا مكان لأختام اليقين.

بعد فترة من وصوله الى استوكهولم، قام سليم بركات بتقديم طلب الى مكتب شؤون الهجرة لغرض الحصول على اللجوء السياسي. ولكن بعد مدة فوجيء برفض طلبه لأسباب غير منطقية وغير واقعية، ومنذ ذلك التاريخ اعلن معظم الكتاب والاكاديميين السويديين تضامنهم المطلق مع حق سليم بركات في الحصول على الإقامة في استوكهولم، حيث تعتبر عاصمة للكتاب المضطهدين والملاحقين.

في التاسع عشر من كانون الاول (ديسمبر) عام 2000، نشر الكاتب السويدي المعروف «تاماس غيليرت» مقالا مستفيضا في جريدة Dagens Neter السويدية، يتناول فيه محنة الكاتب سليم بركات.. يقول غيليرت في مقاله: «سليم بركات، الكاتب الكردي-العربي، اصطدم بقوة مع مكتب شؤون اللاجئين البيروقراطي، في مدينة يفترض ان تكون حرة للكتاب الملاحقين والمشردين والذي ما زال ينتظر لمدة سنتين في استوكهولم، ان التضامن العملي من اجل الكلمة الحرة، تطور وتحول الى النضال بين ادباء السويد، ونادي القلم الدولي، ودايرة الثقافة السويدية من جهة، وبين مكتب شؤون اللاجئين السويدي. هنالك سلطتان، سلطة تفتح ابوابها لضييفاها سليم بركات، وسلطة ثانية تريد ابعاده، وبدون اي باعث او سبب وجد الكاتب سليم بركات نفسه ضحية.

في مكان آخر بالكامل، وفي زمن اخر، في منطقة تمتد بين دجلة والفرات، ولد طفل في مدينة سورية تدعى «القامشلي» العام هو 1951، في الشوارع الضيقة لهذه المدينة، حيث الناس فيها يتكلمون اللغات: العربية، الكردية، السريانية، الاشورية، والارمنية، كل هذه اللغات كانت تعاني من اضطهاد اللغة العربية السائدة».

كان ابي الملا، بلقبه الديني الصغير، يرى العرب اقرباء الحقيقة لأنهم فرع الاصل النبوي، الكامن في جبلة الخلق الاول، وهم خطاب الله الى الوجود العارض، لكنني، حيث تفوهت عرضا، ذات يوم، بما يذكر بعراقي، اعدت لي المدرسة محاكمة ذويت عظامي هلعاء، كل اساتذة المدرسة الاعدادية والثانوية اجتمعوا لوضع المحاكمة على سكة اصولها، وتباروا-الاستاذ الكيمياء الشيوخي، والجغرافيا الفلسطيني- في اعادة عقلي الى مسلك الحقيقة: اذا ادعيت اصلا كرديا، عد الى تركيا. هكذا قال معلم الادب العربي، ذو الشيب في العارضين. الاكراد هم من تركيا، اذن هم وافدون طارئون. اعرف ان والد جدي قدم من جهات قزوين الى ارض متداخلة الاعراق، لم ترسمها الخرائط، بعد، مبوبة بخطوط زرقاء، وحمراء وسوداء. جاء الى ارض كان فيها شركاء لغته، وشركاء ثيابه، وشركاء حكاياته عن البسالة، والخيبة، والغرام المعذب، في اقاليم صغيرة، كل اقليم قرية لها اسم كردي، قبل ان الد، بسنين عشر ربما لم تكن ثلاثة ارباع هذه البلاد بلادا بعد، ومع ذلك طلب مني معلم اللغة العربية ان «اعود» الى تركيا!! بالطبع لم اطلب منه، هو، ان يعود الى الجزيرة العربية».

اوائل السبعينات، وعندما اختفى اثنان من اخوته، بعد اعتقالهما، واللذان ما زال مصيرهما مجهولا لغاية يومنا هذا، قرر الشاب ذو التاسعة عشرة من عمره، سليم بركات، ترك بلاده، حاملا معه أحلامه الشعرية، باحثا عن فضاء الحرية والرحب، باحثا عن احلام النجاح، فكانت بيروت، المحطة الاولى الى عالم المنفى الاكثر بهاء، في بيروت وللفترة من 73-1977 يصدر ثلاث مجاميع شعرية، التي ستلاقي استحسان النقاد والاصدقاء، وتوقعوا انهم امام بزوغ شاعر جديد، سيكون بمستوى ادونيس، ومحمود درويش. وهنالك حيث سيكون سكرتيرا للمجلة الفصلية «الكرمل» لسنوات طويلة، وهي في عز مجدها الادبي المتألق، ولغاية خروج المقاومة الفلسطينية من بيروت اثر الاجتياح الاسرائيلي للبنان. حيث ترك البحر المتوسط بجزئه اللبناني في خروجه مع ابناء المقاومة الفلسطينية، ليقدم هذه المرة في حضرة البحر المتوسط ايضا، لكن في جزئه القبرصي، انه يولييسيس اخ يحمل في ذاكرته عذاب الشرق من منفى الى منفى، اذن هو المنفى اينما حللت يا سليم يا ابن الملا بركات، يا من حملت الغبار من مطحنة ابيك، غبار الاب هو خبز العافية مغموس بالصدى الآتي من جهة الشمال، من هاتف في المغيب، من ابيك: سليمو، عد يا سليمو، مطاحن القامشلي تناديك، لا يا ابي، لقد اعلنوا ان القامشلي، (مش لي) هاتف بي يصلي مسامي «كانه يراني في عذاب يرفع الى انفه نشيش كبدي في توابل النار. انه اب، سأحاول طوال عمري البرهان على وجوده، واذا تمكنت من اقتناص البرهان القاطع على وجوده، فسأجتهد كي ابرهن على انه جدير بالكراهية. كل أب جدير بالكراهية، على نحو ما، قوي او خفيف، لأنه أب، لا غير طيب، رؤوف، سمح، طاهر، رقيق، غفور.. الاب امتحان غامض، الاب لعبة، الاب نهاية

منتظرة، الاب فخ». (2) وفي نفس مقال الكاتب السويدي (غيليرت) الأنف الذكر، نقراً: «ان المنفى، تعدد الثقافات والهويات أثرت خلفية، سليم بركات الثقافية في ابداع روايات واشعار جديدة، وجزء من اسلوبه قريب الى اللعب بحيث اطلق على نفسه «الفلاح سليم»، لكنه يخفي في داخله الهيبة والجديّة». لقد غرس سليمو في محيط بيته في نيقوسيا، هنالك عند الخط الاخضر، أكثر من منثي شجرة. «اشجاره العجولة في نموها» كأنها تسابق الزمن كي تشب بفعل البهاء، في انامله النحاسية، كي تودع غارسها من لمسات خفيف أوراقها.

ويضيف (غيليرت): «بينما نحن مجتمعون في مطبخ بيته، ذي الحيطان المطلية بالاصفر الذهبي، والمعد الخفيض، قال بركات «رواياتي صعبة، لا استطيع الكتابة بأسلوب بسيط، ذلك يسبب لي الفوضى». ان ترجمة الجندب الحديدي، الى اللغة العبرية تطلب ثماني سنوات، من قبل اثنين من المترجمين. ان عالم بركات الروائي المعقد، يضيف غيليرت، يمكن مقارنته بقوانين السويد المعقدة بخصوص اللاجئين، حيث اصبحت قضية الصدام بين بركات، ومكتب شؤون اللاجئين البيروقراطي قضية حتمية لا مفر منها، وان السلطات السويدية مصرة على اعادته الى الاراضي القبرصية، وبدون اي باعث او سبب وجد الكاتب المشهور سليم بركات نفسه ضحية.. هذا الرجل الذي يتلذذ بالطهي، والذي يلحم ان يؤلف كتابا عن فن الطهي، وجد نفسه فجأة يطوف في قدر، حيث سيمضي على وجوده حوالي عامين وهو واقف في المطبخ «مقام كل بيت من مقام مطبخه، الى الرواح- ملكات المتعة تلك- ان تستنهنض ببهبوبها الخفي حواس الجالس في الصالة. لا ينبغي. لا ينبغي. لا ينبغي» وصد باب على النعمة حيث لهو التوابل، والمشادات الناعمة لأبخرة الحضورات المطهوه بميثاق النار المضمرة في الاسلاك والمعلنة في العيون الحديد فوق صفح الافران. المطبخ هو تدوين الخواص». (3)

ان رؤساء الاحزاب السويدية في استوكهولم، وبرلمان المثقفين العالمي، واعضاء الاكاديمية السويدية والفدراسيون الكردي، والمؤسسات الثقافية الكردية، اعربوا وما زالوا عن تضامنهم بشتى الوسائل من اجل حق سليم بركات في الإقامة والبقاء على الاراضي السويدية.

في تشرين الاول (اكتوبر) من عام 1999 منح الكاتب سليم بركات جائزة (توخولسكي) للشعر، وذلك من قِبل نادي القلم السويدي، وهي من الجوائز القيمة. ان الشاعر البولوني الشهير توخولسكي مر وعاش بنفس الظروف التي يمر بها بركات الان، حيث قدم الى السويد خلال اعوام الحرب العالمية الثانية، هربا من الاضطهاد النازي، وتقدم بطلب اللجوء السياسي، لكن السلطات السويدية رفضت طلبه واعادته الى بولونيا في حينها، فقامت السلطات النازية باعدامه، وربما كنوع من تانيب الضمير ولاعادة الاعتبار للشاعر توخولسكي استحدثت السلطات السويدية هذه الجائزة، ذلك هو سليم بركات، الذي طوع كبرياء العربية في اوج علوم نحوها وصرفها، بلغة العارف بلغة اليقين. لقد قال سليم بركات في لقاء له مع قناة الجزيرة «لم اكن غريبا على العربية، ويمكنني التعبير بها عن خصوصيتي كردي اكثر من اللغة الكردية، حولت اللغة العربية معي الى هوية كردية. وطني الحقيقي هو لغتي، لم يبق ان ارى حدودا اكثر منها ولا حرية اكثر، معلنا جمهوريتي بقواعد الاعراب العربي».

كم علينا ان نعلن تضامنا مع المبدع سليم بركات، كم علينا ان نرفع صوتنا، طالما نحن في منفى واحد؟

سليم بركات الذي ابدع لغاية الان: عشرة دواوين شعر، وثمانين روايات، وكتابين في السيرة الذاتية، وكتاب «الاقرباذين/ مقالات في علوم النظر». وتصدر له قريبا رواية «اختام السديم».

\* كاتب من العراق يقيم في السويد

الهوامش:

1- كتاب الاقرباذين | مقالات في علوم النظر

2- 3 كيد ميلادس | رواية